

نفحات القرآن

[195] الآية) . الاستناد إلى الحدس والتخمين تحدّثت الآية الرابعة في أوّلها عن مالكية الله لجميع مَنْ في السموات والأرض حيث تقول : (ألا إنّ الله مَنَّ في السموات وَمَنْ في الأرض) . وهذا التعبير يمكن أن يكون إشارة إلى عقيدة المشركين الذين أقرّوا بأنّ المالك والحاكم الأصلي هو الله ، ومع ذلك فإنّهم كانوا يعبدون الأصنام ، كما يمكن أن يكون إشارة إلى أنّ النظام الواحد لعالم الوجود دليل على أنّ المدبّر الواحد هو الحاكم عليه . ثمّ تضيف : (وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء) . بل إنّهم يتّبعون أوهامهم ووطنونهم فقط (إنّ يتّبعون إلاّ الظنّ وإنّهم هم إلاّ يخرون) (1) . (يخرون) - كما اُشير سالفاً - مشتقّ من (خرص) ويأتي بمعنى (التخمين) و (الكذب) لأنّ التخمين لا يصيب في أكثر الموارد ، وآية البحث تحتل المعنيين . وقد ورد هذا المضمون وبفارق يسير في الآية الخامسة التي تقول بعد ذكر إنحراف عبدة الأوهام (وما يتّبع أكثرهم إلاّ ظنّاً إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً) ثمّ تهدّد هؤلاء الطائنين بتعبير ذي معنى كبير (إنّ الله عليمٌ بما يفعلون) . أجل ، أنّ الظنّ والوهم كالسهم في الظلام ، لا يمكن إصابة الهدف به أبداً ،

1 - وفقاً لهذا التفسير تكون (ما) في (وما يتبع) نافية وفاعل (يتبع) هو (الذين) ومفعول (شركاء) أي أنّ المشركين لا يتّبعون في الحقيقة شريكاً الله تعالى (لأنّ الله لا شريك له وهؤلاء الشركاء من صنع الأوهام) ، ولكن إحتمل جمع من المفسّرين بأنّ (ما) هنا إستفهامية فيكون معنى الجملة هو : أي شيء يتّبعونه من دون الله ويجعلونه شريكاً له ؟ فهل هناك إلاّ الظنّ ؟ (النتيجة في الإثنين واحدة تقريباً) . راجع تفسير مجمع البيان وتفسير الفخر الرازي والقرطبي وتفسير الكشاف وروح المعاني في ذيل آية البحث وقد إحتمل البعض أنّ (ما) هنا موصولة إلاّ أنّه يبدو بعيداً .